السُّكْر مفتاح الشرّ*

الجاحظ

سكر زبيدة الصيرفي ليلة، فكسا صديقاً له قميصاً. فلما صار القميص على النديم خاف البدوات(١)، وعلم أن ذلك من هفوات السكر. فمضى من ساعته إلى منزله فجعله برنكاناً(٢) لامرأته.

فلما أصبح زبيدة سأل عن القميص وتفقده فقيل له : إنك قد كسوته فلاناً. فبعث إليه، ثم أقبل عليه فقال: ما علمت أن هبة السكران وشراءه وبيعه وصدقته وطلاقه لا يجوز ؟ وبعد فإني أكره ألا يكون لي حمد، وأن يوجه الناس هذا مني على السكر. فرده عليّ حتى أهبه لك صاحياً عن طيب نفس، فإني أكره أن يذهب شيء من مالي باطلاً.

فلما رآه صمم أقبل عليه فقال: يا هناه(٣)! إن الناس يمزحون ويلعبون ولا يؤاخذون بشيء من ذلك ، فرد القميص عافاك الله!

قال له الرجل: إني والله قد خفت هذا بعينه، فلم أضع جنبي إلى الأرض حتى جيبته (٤) لامرأتي، وقد زدت في الكمين وحذفت المقاديم(٥).

فإن أردت بعد هذا كله أن تأخذه فخذه.

فقال : نعم آخذه، لأنه يصلح لامرأتي كما يصلح لامرأتك.

قال : فإنه عند الصباغ.

قال فهاته!

قال: ليس أنا : سلمته إليه.

فلما علم أنه قد وقع، قال : بأبي وأمي رسول الله ﷺ حيث يقول: جمع الشر كله في بيت، وأغلق عليه، فكان مفتاحه السكر.

الهوامش :

*كتاب البخلاء للجاحظ - تحقيق طه الهاجري - طبع دار المعارف - ص٣٠

(١) بداله في الأمر - بدواً وبداءً وبداءً : نشأ له فيه رأي، والبداة: الرأي يبدو لصاحبه، وجمعه: بدوات.

(٢) البرنكان: الكساء الواسع الذي يلف الجسم (معرب عن الفارسية).

(٣) الهن: الشيء ويقع كناية عن كل اسم جنس، ويقال في النداء للرجل- من غير أن يصرح باسمه- : ياهن! أي يا رجل ! وتدخل فيه الهاء لبيان الحركة، ثم تتبع هذه الحركة، فتقول : يا هناه! بكسر الهاء لاجتماع الساكنين، أو بضمها لتقدير أنها آخر الاسم.

(٤) جيَّبت القميص: طوقت، وجيب القميص- أجيبه: قورت جيبه - وجيبته: جعلت له جيباً.

(٥) مقدَّم الثوب ومقدمه: ما يستقبل منه ، والجمع المقاديم.

دع للصلح موضعاً

قال عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما :
كفى بك ظالماً أن لا تزال مخاصماً، وكفى بك آثماً أن لا تزال مماروياً، وكفى بك كاذباً أن لا تزال محدثاً بغير ذكر الله تعالى.

وشتم رجل الصحابي أبا ذر الغفاري ، رضي الله عنه، فقال لشاتمه : لا تغرق في شتمنا، ودع للصلح موضعاً فإنا لانكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.